

تفسير أبي السعود

الرعد 31 مثل ذلك الإرسال العظيم الشأن المصحوب بهذه المعجزة الباهرة أرسلناك في أمة قد خلت أي مضت ومن قبلها أمة كثيرة قد أرسل إليهم رسل لتتلو لتقرأ عليهم الذي أوحينا إليك من الكتاب العظيم الشأن وتهديهم إلى الحق رحمة لهم وتقديم المجرور على المنصوب من قبيل الإبهام ثم البيان كما في قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك وفيه ما لا يخفى من ترقب النفس إلى ما سيرد وحسن قبولها له عند وروده عليها وهم أي والحال أنهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت كل شيء رحمته وأحاطت به نعمته والعدول إلى المظهر المتعرض لوصف الرحمة من حيث إن الإرسال ناشء منها كما قال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين فلم يقدرُوا قدره ولم يشكروا نعمه لا سيما ما أنعم به عليهم بإرسال مثلك إليهم وإنزال القرآن الذي هو مدار المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين أمروا بالسجود فقالوا وما الرحمن قل هو أي الرحمن الذي كفرتم به وأنكرتم معرفته ربي الرب في الأصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً ثم وصف به مبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت أي خالقي ومبليغي إلى مراتب الكمال وإيراده قبل قوله لا إله إلا هو أي لا مستحق للعبادة سواه تنبيه على أن استحقاق العبادة منوط بالربوبية وقيل إن أبا جهل سمع النبي A يقول يا \square يا \square يا \square يا \square فرجع إلى المشركين فقال إن محمداً يدعو إلهين فنزلت ونزل قوله تعالى قل ادعوا إلى الله أو ادعوا الرحمن الآية عليه توكلت في جميع أموري لا سيما في النصر عليكم لا على أحد سواه وإليه خاصة متاب أي توبتي كقوله تعالى واستغفر لذنبك أمر عليه السلام بذلك إبانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله تعالى وأنها صفة الأنبياء وبعثنا للكفرة على الرجوع عما هم عليه بأبلغ وجه والطفه فإنه عليه السلام حيث أمر بها وهو منزه عن شائبة اقتراف ما يوجبها من الذنب وإن قل فتوبتهم وهو عاكفون على أنواع الكفر والمعاصي مما لا بد منه أصلاً وقد فسر المتاب بمطلق الرجوع فليل مرجعي ومرجعكم وزيد فيحكم بيني وبينكم وقد قيل فيثيبني على مصابرتكم فتأمل ولو أن قرآنا أي قرآنا ما وهو اسم أن والخبر قوله تعالى سيرت به الجبال وجواب لو محذوف لانسياق الكلام إليه بحيث يتلقفه السامع من التالي والمقصود إما بيان عظم شأن القرآن العظيم وفساد رأي الكفرة حيث لم يقدرُوا قدره العلي ولم يعدوه من قبيل الآيات فاقترحوا غيره مما أوتى موسى وعيسى عليهما السلام وإما بيان غلوهم في المكابرة والعناد وتماديهم في الضلال والفساد فالمعنى على الأول لو أن قرآنا سيرت به الجبال أي بإنزاله أو بتلاوته عليها وزعزعت عن مقارها كما فعل ذلك بالطور لموسى E أو قطعت به الأرض أي شققت وجعلت أنهاراً وعيوناً كما

فعل بالحجر حين ضربه عليه السلام بعصاه أو جعلت قطعاً متصدعة أو كلم به الموتى أي بعد أن